السخرية في السيرة الذاتية السعودية (مقاربة نقدية)

د / بسمة بنت محيسن القثامي العتيبي
أستاذ الأدب والنقد المساعد بجامعة أم القرى

الملخص

السيرة الذاتية من أشهر الفنون الأدبية التي تعبر عن الذات وتكشف عن انفعالات كتابها وعواطفهم، كما أنها تظهر مشاعر الشخصيات وأحاسيسها التي تدور في فلك الكاتب وهو الجنس الأدبي الأكثر التصاقًا بالواقع والوقائع والأحداث والتجارب التي يخوضها الكاتب وينثرها في سيرته مقارنة بغيره من الأجناس السردية كالقصة والرواية.

وتعد السخرية أسلوبًا من أساليب التعبير، وظاهرة يلجأ إليها كتاب السير الذاتية لا لمجرد الضحك والترفيه بل يسعى للتنفيس عن ضجره من موقف ما أو يعلن عن صفات في ذاته أو يرصد لظاهرة اجتماعية بارزة محاولًا التقويم والتهذيب والإصلاح، ويقدم النصح من خلال أساليب السخرية وأنواعها.

وقد شكلت السخرية حجر الزاوية بين الموضوعات في السير الذاتية السعودية وقدمت نماذج لها وقعها وتأثيرها على المستوى الاجتماعي والفكري والفلسفي.

واستنادًا لهذه الأهمية للسخرية، سعى هذا البحث لرصد أنواع السخرية في كتابات الأدباء الذاتية، موضحًا أبعادها وطرائق تصويرهم للذات والشخصيات بأبعادهم الاجتماعية وطقوسها المختلفة، وكيفيات رصدهم لخصوصيتها النفسية.

كما ركّز البحث على الكشف عن تقنيات الأدباء في سردهم وآلياتهم في طرق السخرية واستخداماتها، ولا سيما أن السير الذاتية السعودية التي تحدثت عن الأوضاع الذاتية والاجتماعية حضرت متنوعة السياقات ومختلفة الموضوعات.

الكلمات المفتاحية:

السخرية، السيرة الذاتية، السعودية، الشخصيات، المجتمع، ذاتي.

Abstract

Autobiography is one of the most famous literary arts that expresses the self and reveals the feelings and emotions of its writers. It also shows the feelings and feelings of the characters that revolve around the writer, and it is the literary genre that is most attached to reality, facts,

events and experiences that the writer experiences and scatters in his biography compared to other narrative genres such as the story and the novel.

Sarcasm is a method of expression and a phenomenon that autobiographers resort to, not just to laugh and entertain, but rather seek to vent their boredom with a situation, announce qualities in themselves, or monitor a prominent social phenomenon, trying to correct, refine, and reform, and provide advice through the methods and types of sarcasm.

Sarcasm formed the cornerstone of topics in Saudi autobiographies and provided models that had impact and influence on the social, intellectual, and philosophical levels.

Based on this importance of sarcasm, this research sought to monitor the types of sarcasm in the personal writings of writers, explaining its dimensions and the methods of their depiction of the self and characters with their social dimensions and various rituals, and the ways they monitor their psychological specificity.

The research also focused on revealing the techniques of writers in their narrations and their methods of satire and their uses, especially since the Saudi autobiographies that talked about personal and social conditions were present in a variety of contexts and on different topics.

key words:

Sarcasm, biography, Saudi Arabia, personalities, society, myself.

المقدمة

الحمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

لم يكن ممكنًا، منذ بدء الكتابة، أن تكون رسالة جادة على الدوام، منذ الرسومات الساخرة على الصخور وفي الكهوف، ومنذ الجانب الفكاهي من الأساطير القديمة. فالسخرية استراحة كاتب وقارئ، من الرتم الجاد والرصانة الثقيلة.

إنه لجلي وواضح ذلك الفرق بين السخرية العابرة، من تعثّر أحدهم بقدميه، أو مشهد صادم من حيوانٍ أليف. وبين السخرية في الكتابة، التي غالبًا ما تكون وسيلة تعبير صادمة، يتخذها الكاتب خروجًا عن النمط. إن السخرية في الكتابة آلية راقية، لا تبحث عن ابتسامة مؤقتة، أو ضحكة مفتعلة، بل الوقوف بتهكم في نافذة تطل على خراب الواقع، تقيِّمه وتقوِّمه.

يبدو خطاب السخرية بمختلف أشكاله وتوجهاته خطابًا غنيًا في نص السيرة الذاتية وهو جزء من المنظومة التركيبية له، فنحن هنا أمام موضوع جريء صعب ليس في وسع أي أديب أن يطرقه إلا إذا رُزق قدرة خاصة من الطرافة، والميل إلى الاقذاع والقدرة على إدراك المفارقة.

بناء على هذه المعطيات والتفكير غير النمطي تبرز أهمية السخرية جسرًا ممتدًا بين الواقع وتجربة الكتاب السعوديين ولا شك بأن هذه السخرية هي مظهر من مظاهر النقد التي يسلك بها الكتاب طرقًا خفية ومضمرة.

ومعروف بأن للسخرية مجموعة من الأساليب والموضوعات، التي يلجأ إليها أو لأحدها الكاتب لغرض جلب اهتمام المتلقي ولفت نظره، وتتفاوت هذه الأساليب وهذه الموضوعات وفق شخصيّة الكاتب ذاته ومؤهلاته وملكاته الخاصة، كما أن للبيئة العامة أو الخاصة المحيطة بالكاتب لها أثرًا كبيرًا في ذلك.

وأخيرًا هناك بين الجدّ والّسخرية مساحة واسعة تميل بأفضليتها وأهميتها على المستوى الأدبي لصالح السخرية، فنحن لا نجد في الجدّ ما نجده في السخرية من طارئ أو جديد أو كسر للنمطية، إنّما الجديد الطارئ هي الّسخرية حيث إن الموقف الساخر هو الأليق بواقع الحياة وتناقضاتها.

ويكتسب هذا البحث أهميته من تواتر وظهور جنس السيرة الذاتية في الأدب السعودي والمبدعين السعوديين الذين أبدعوا في الكتابة الفنية لجنس السيرة الذاتية وقلة الدراسات النقدية التي تتناول هذا الفن السردي بالبحث والدراسة.

كما ترجع أهمية هذا البحث إلى أن تقنية السخرية أضحت سمة مميزة لكتابات السير الذاتية السعودية، إضافة إلى تميزها بسمات فنية كاشفة عن حسن الآداء وقوة التصوير وفنيته، ولا سيما أنها تستمد معانيها من وقائع خاصة ذاتية الطابع ولكنها تعبر عن البيئة الاجتماعية والسياسية الحاضنة لها، كما أنها تحمل طابعًا تطهيريًا بالتعبير عن واقع مر بهدف إصلاح المجتمع وتقويمه.

وتأسيسًا على ما سبق؛ فإن أهمية البحث وتساؤلاته انطلقت من محاولة رصد تقنية السخرية في السير الذاتية السعودية فيسعى البحث للإجابة عن عدد من التساؤلات، من أبرزها:

- ما مفهوم السخرية؟
- ماهي أنماط حضور السخرية في السيرة الذاتية السعودية؟
- كيف تجلت السخرية عند كتاب السير الذاتية السعوديين؟ وكيفية توظيفها؟
- كيف أثرت السخرية في بنية نص السيرة الذاتية السعودية؟
- ما هي مميزات لغة السخرية في السيرة الذاتية السعودية؟

وهدفنا من دراسة هذا البحث هو قراءة نصوص السير الذاتية انطلاقًا من السخرية للكشف عن مقاصدها وأنماطها، وأن نظهر الجانب الإيجابي للسخرية وبأنها وسيلة للتعبير عن مقاصد الكاتب وأهدافه من سرده، وأنها أداة للنقد الاجتماعي كما أنها إحدى الجماليات الفنية لسرد السير الذاتية.

ولكي تتحقق أهداف البحث ومحاولة الإجابة عن تساؤلاته تم تقسيم البحث إلى قسمين رئيسين ومدخل تمهيدي يتصدره مقدمة، وينتهي بخاتمة.

فالقسم الأول: يتحدث عن أنواع السخرية وأنماطها في السيرة الذاتية السعودية والتي منها السخرية من الذات والسخرية من الشخصيات والسخرية من الواقع الاجتماعي، وآليات اشتغال السخرية في النص السردي، وعلاقة الكاتب بالقارئ في ضوء العمل الساخر.

أما القسم الثاني: فتحدث عن لغة السخرية في سرد السيرة الذاتية من خلال ثلاث مستويات: الأول التناص بأنواعه ثم المستوى الثاني السجع وأخيرًا الحوار بأشكاله.

وقد تم الاستعانة بالمنهج الموضوعاتي والموضوعاتية مشتقة من موضوع. ومن سمات هذا المنهج أنه يحلل المادة الأدبية إلى "ثيمات" رئيسة، تتيح القدرة على الكشف عن مستوى تناول المبدع لموضوع من الموضوعات، وقدرته على نسج النص الإبداعي انطلاقا من الموضوع الرئيس. ولا يتأتّى هذا إلا من خلال التحليل المعتمد على التأويل المرتبط بنفسية المبدع، وارتباط ذلك بعملية الإدراك والشعور التي تؤثر تأثيراً مباشراً في إخراج النص.

الدراسات السابقة:

ثمة دراسات سابقة كثيرة حول هذا الموضوع منها:

١ – دراسة جزّاع فرحان الشمري: أجناسية السيرة الذاتية السعودية، النادي الأدبي بالرياض، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م.

٢ – دراسة رابح العوبي: فن السخرية في أدب الجاحظ من خلال كتاب التربيع والتدوير والبخلاء والحيوان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

٣ – دراسة شاكر عبد الحميد: الفكاهة والضحك، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٣م.

٤ – دراسة محمد أمين طه: السخرية في الأدب العربي، دار التوفيقية للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م.

٥ – دراسة معجب الزهراني: السيرة الذاتية في الأدب السعودي، ضمن كتاب السيرة الذاتية في الأدب السعودي، جامعة الملك سعود، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

٦ – دراسة محمد العمري: بلاغة السخرية الأدبية، النادي الثقافي الأدبي بجدة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٧ – دراسة سمية الرومي: فضاءات السيرة الذاتية في ذكريات طفل وديع، مجلة كلية الآداب، جامعة سوهاج، مصر، العدد ٣٩، ٢٠١٥م.

٨ – دراسة أسامة البحيري: تشكيل الزمن السردي في السيرة الذاتية السعودية، قراءة في ذكريات طفل وديع، مجلة علامات، المجلد ٢٧، العدد ٦٦.

٩- دراسة حسين المناصرة: رواية السيرة الذاتية قراءة في ملامح سردية سعودية، مجلة علامات، المجلد ٢٧، العدد ٦٦.

١٠- دراسة صلوح السريحي: من على كتف أمي أرى الدنيا: قراءة في كتاب رحلة العمر لعبد الحميد مراد، مجلة علامات، المجلد ٢٧، العدد ٦٦.

١١- دراسة عائشة الحكمي: حكاية الفتى مفتاح كفاية الميثاق بين القارئ والنص، مجلة علامات، المجلد ٢٧، العدد ٦٦.

١٢- دراسة منصور المهوس: التكوين الجمالي للسيرة الذاتية في الأدب السعودي الحديث، حياة في الإدارة لغازي القصيبي، مجلة علامات، المجلد ٢٧، العدد ٦٦.

١٣- دراسة حمد سويلم: أسلوبية السيرة الذاتية سيرة عزيز ضياء أنموذجًا، مجلة علامات، المجلد ٢٧، العدد ٦٦.

١٤- دراسة صالح الغامدي: السيرة الذاتية المتشظية، قراءة في حاطب ليل لعبد العزيز الثويجري، مجلة علامات، المجلد ٢٧، العدد ٦٦.

١٥- دراسة محمد القشعمي: الذاتي والموضوعي في السيرة الذاتية لدى عبد الرحمن منيف، مجلة علامات، المجلد ٢٧، العدد ٦٦.

١٦- دراسة محمد الربيع: خليل الرؤاف وشهادته على قرن من الزمان، قراءة في مذكرات وسيرته، مجلة علامات، المجلد ٢٧، العدد ٦٦.

١٧- دراسة معجب العدواني: كيف تكتب المرأة السعودية سيرتها: طريق الحرير لرجاء عالم نموذجًا، مجلة علامات، المجلد ٦٧، العدد ٦٦.

١٨- دراسة فاطمة إلياس: الأنثى تنجو بسيرتها أنماط البوح في كتاب المرأة السعودية، مجلة علامات، المجلد ٢٧، العدد ٦٦.

١٩- دراسة لمياء باعشقي: استراتيجية التحزيم المخروطي في كشف الذات الروائية عند أحمد أبو دهمان، مجلة علامات، المجلد ٢٧، العدد ٦٦.

٢٠- دراسة سحمى الهاجري: أمكنة الحكاية وزمن المحكي: قراءة في سيرة قطرات من سحائب الذكرى لعبد الرحمن السحمان، مجلة علامات، المجلد ٢٧، العدد ٦٦.

وهذه الدراسات رغم جدتها وجديتها وإسهامها في كشف كثير من جوانب الدراسة إلا أنها لم تتناول موضوع الدراسة المراد القيام بها وهي دراسة السخرية في فن السيرة الذاتية عند بعض الكتاب السعوديين.

مدخل:

السخرية: النشأة والمصطلح.

تعد السخرية من المفاهيم التي تنتمي إلى حقول معرفية مختلفة واختصاصات متعددة فنجدها في المعاجم تستعمل بعدة مفردات فمثلًا جاءت "سخر" "وهزأ" وهي عند الأخفش: سخرتُ منه وسخرت به وضحكت من وضحكت به وهزئتُ منه وهزئتُ به... والسخرةُ: ما تسخرت من دابة أو خادم بلا أجر ولا ثمن ويقال سخرته بمعنى سَخَرْتُه أي قهرته وذللته[١] قال الله تعالى: ﴿ كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ ﴾[٢] أي ذللهما.

وورد في لسان العرب قوله: الهزء والهزو: السخرية. هزئ به ومنه وهزأ يهزأ فيهما هزءًا، وهزوءًا، ومهزأة، وتهزأ، واستهزأ به: سخر، وقوله تعالى: ﴿ حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح ﴾[٣]....[٤].

وقد أسهم الإمام الجوهري في تحديد مفهوم السخرية من خلال جمعه لمعانيها وربطها بالمعاني القريبة منها مثل الهزء والتذليل فقد جاءت في عدة مواضع من القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿ نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم ﴾[٥]. وإن ارتبطت دلالات السخرية بالهزء والتحقير في الكثير من المواضع إلا أنها في مواضع أخرى تداخلت مع مصطلحات كثيرة مثل التهكم الهزل والضحك والهجاء والنكتة والفكاهة وغيرها.

وبسبب هذا التداخل صعب على النقاد تحديد ووضع مفهوم للسخرية حيث اتجه البعض إلى تعريفها بأنها: "النقد الضحك أو التجريح الهازئ، وغرض الساخر هو النقد أولًا والاضحاك ثانيًا، وهو تصوير الإنسان تصويرًا مضحكًا: إما بوضعه في صورة مضحكة بواسطة

التشويه –الذي لا يصل إلى حد الإيلام– أو تكبير العيوب الجسمية أو العضوية أو الحركية أو العقلية أو ما فيه من عيوب حين سلوكه مع المجتمع، وكل ذلك بطريقة خاصة غير مباشرة"[٦].

واختزل بعض الباحثين السخرية بأنها: "نوع من الهزء قوامه الامتاع في إسباغ المعنى الواقعي كلّه على الكلمات والإيحاء عن طريق الأسلوب وإلقاء الكلام بعكس ما يُقال، وتتركز على طريقة في طرح الأسئلة مع التظاهر بالجهل وقول شيء في معرض آخر"[٧].

ويرى أحد النقاد المحدثين، بأن "السخرية نوع من التأليف الأدبي أو الخطاب الثقافي الذي يقوم على أساس الانتقاد للرذائل والحماقات والنقائض الإنسانية الفردية منها والجمعية"[٨].

ويرى المازني الساخر بأنه "حينما يتناول المضحكات أحيانًا ويمزح ويسخر ويركّب الأشياء والناس بالهزل، فإن هزله أبدًا مُبطّن بالجد، وهو لا يقصد إلى الهزل في ذاته"[٩].

ويجب أن تتوافر في كاتب السخرية بعض الصفات كالقدرة على الفكاهة، وسرعة البديهية وحسن التخلص ولابد أن يكون ذا عين بصيرة وعقل متيقظ يشعر بما ينقص المجتمع، قاصداً من وراء ذلك الإصلاح والتغيير إلى الأفضل. ولا بد أن تصدر السخرية عن روح صادقة ونفس مرحة لا تحمل الحقد أو اللؤم وهي في الوقت نفسه" تدل على سعة المستوى الثقافي للساخر الذي يعتمد وسائط متعددة بعيدة الدلالة"[١٠].

وقد برزت السخرية كتقنية فنية وسمة مميزة في متون السيرة الذاتية السعودية واستمدت معانيها من الأحداث الخاصة الحياتية، أو من الواقع الاجتماعي.

وبعد النظر في متون السير الذاتية السعودية نجد بأن السخرية ارتكزت على ثلاث ركائز وهي السخرية من الذات "ذات السارد" والسخرية من الواقع الاجتماعي وأخيرًا سخرية الشخصيات بعضها من بعض.

أنواع السخرية:

١- السخرية من الذات:

عندما تتعرض الذات لمعاناة الحياة، ترفض أن تغيّب وتحاول أن تقاوم، فتؤكد حضورها بأشكال مختلفة وأنواع متعددة فالبوح مثلًا يساعدها على البقاء قوية ومتماسكة ويقدم هذا البوح

بطرق متنوعة كالاعترافات أو بتصريح من الكاتب أو يتخذ من خلال الوسائط الفنية المتعددة مثل السيرة الذاتية الفن الملتصق بالذات الإنسانية تعبيرًا عن ذاته ومشاعره.

وتسهم السخرية في التنفيس عن الذات وتسعى إلى التنبيه على الأخطاء والعيوب كما تنتقد وتقوم المساويء والتناقضات وقد برز نوع من أنواع السخرية في السيرة الذاتية السعودية واستخدم بوصفه ثيمة موضوعية استخدامًا فنيًا في متن السيرة وهو "السخرية من الذات".

وقد برز هذا اللون من السخرية في السيرة الذاتية للسباعي المعروف بنزعته للدعابة وحبه لرسم المواقف بصورة مضحكة ساخرة حتى أصبحت سمة فنية لنصوص سيرته وقد أتى بنص أباح لنفسه التندر والسخرية من ذاته أو بأصدقائه بالتصريح مرة أو بالتلميح فيقول عن نفسه بصراحة: (وكنت شخصيًا من أكثر العيال (شقاوة) وأميزهم وقاحة، وكانت لي عصاة، مدهونة بذوب الشحم معدة للأيام السود. وكنت كثير العبث بها لا أترك دكانة إلا (أخبطها) أو كلبًا إلا أضربه أو حمارًا إلا ألهبه، أو جملًا إلا أوكزه.. فكنت لذلك أشتبك مع الجمال أو الحمار أو صاحب الدكان في علقة حامية. وكنت لا أظفر فيها إلا في القليل النادر!!)[١١].

وقد نجد تجربة السخرية عند الكاتب عبد العزيز الربيع، مختلفة قليلًا عن كتاب السير السابقين بوصفها تجربة دفعته نحو تأليف سيرته الذاتية (ذكريات طفل وديع) وربطه الدائم بين السخرية وذكريات الوداعة وهي ممزوجة بالحزن والشفقة ومقاومة الوداعة من خلال السخرية من ذاته ففي الإهداء يقدم نصيحة لأبنه يقول فيها: (فأنا ما كرهت شيئًا في حياتي كرهي للوداعة في ذلك الطفل...آه لو تعلم كم أكلت هذه الوداعة من روح أبيك وجسمه وآه لو تعلم كم كلفه ذلك من خسائر.... لو أردت أن أقص عليك من خبرها لتطلب الأمر كتابا أكبر من هذا الكتاب.... لو أردت أن أحدثك عنها لاحتجت إلى صفحات وصفحات.... ونصيحتي لك أن تبذل كل ما تستطيع لتتخلص من الوداعة فهي آفة أعيذك بالله منها)[١٢].

استخدم الكاتب ربيع السخرية سلاحًا خفيًا يتوارى بين ثنايا الكلمات وبأسلوب تهكمي من كل ما جرى في حياته وذلك من خلال السخرية التي تمنحه الشجاعة لمواجهة كل ما دار حوله، إذ تتزاوج السخرية مع الألم لديه.

وهذا النوع من السخرية يكشف عن صفات الذات بأسلوب طريف كما هو الحال مع الشاعرة هدى الدغفق، فقد عبرت عن صفة تمتاز بها وهي "حسن الظن" مقربة للقارئ تلك الصفة على شكل ساخر طريف إذ قارنتها بأيقونة الفيس بوك حين تظهر لها تتفاعل إيجابيًا محسنة الظن بمتلقيها تقول: "حسنة الظن أنا مثل أيقونات فيس بوك إذ تعصرني فأنتشي"(١٣).

وثمة حضور ملحوظ "للسخرية من الذات" في سيرة الكاتب عبد الله المناع إذ وصف السارد الحالة الشعورية التي اعترته ودفعته للسخرية من ذاته بشكل واع وتلقائي فذكر شعوره بالإحباط والعجز أمام محاولة جمعه بين دراسة الطب والأدب والثقافة، وهي بمثابة تداعيات حرة بلغة التحليل النفسي، لكنها تداعيات إرادية، يسخر بخيباته وإحباطاته وعجزه. يقول مناع: "ولأجد نفسي في القادم من أيامي بـ قائمة الأطباء الأدباء أو الأدباء الأطباء الذين يملأون العالم كله.. وليس العالم العربي وحده من أمثال «تشيكوف» الروسي، و«موم البريطاني، و«أبو شادي» و«محمود» و«إدريس».. المصريين، وغيرهم"(١٤).

كان هذا النوع من السخرية "السخرية من الذات" بمثابة علاج للسارد ووسيلة للتخفيف من حدة التجارب والأحداث وهذه الطريقة تعتبر من صميم حياتنا، فنحن عادة ما نعالج أنفسنا عبر السخرية للآخرين. فأتخذ المناع السخرية هنا علاج يزيل عنه عبئًا ثقيلًا وراحة وتخلص من إحباطات نفسية. ولست أرى المناع إلا من محسني الإنسانية وأطبائها فقد أثار فينا عاصفة من الضحك الممزوجة بالإشفاق. عاصفة قوامها فن السخرية الصحيح والكاريكاتوري السيكولوجي والتحليلي العميق. وهذا النوع من السخرية يجعل السيرة التي يرد فيها تقترب من رواية تيار الوعي(١٥).

كثيرًا ما استخدمت الكاتبة الهنوف الدغيشم كلمة السخرية في سيرتها الذاتية وتوظيفها بصورة بعيدة عن الفكرة المعتادة للسخرية فنجدها، تعيش مناخًا نفسيًا محتدم الانفعال مع عزلتها وغربتها المحببة لها والتي قادتها إلى اكتشاف دهاليز روحها المعتمة فكشفت عن سخريتها الباطنية وحوارها مرة مع الذات أو الجماد الذي يحمل بعض المشاعر الإنسانية كشجرتها المنتصبة خلف نافذة مكتبها تقول: (رفعت رأسي مرة أخرى، تأملت الشجرة وقلت: هل تدركين خوالج نفسي؟ ربما كنت تسمعين سخريتي الداخلية وقد لا تجدين تفسيرًا لكل ما يحدث في هذه الغرفة الدراسية، ولذلك فإنك بحاجة إلى أن تقتربي من نافذتي بحثًا عن تفسير)(١٦).

قلت بأن الكاتبة تستخدم كلمة السخرية كثيرًا فتظهرها مرة بصورة السخرية الداخلية، ومرة أخرى وصف لحالة شعورية مرت بها أو تجربة جعلتها تتمسك بالسخرية لتخفيف من وقعها وتقبلها وهي التي تعيش حالة من الغربة التي ألفتها ودفعتها للحديث عنها الأشياء التي مرت بها تقول: (لم أكن أدرك أن مكتبي هذا يا نمّارة، بمكانه هنا، عبء مفاجئ ساخر. إن أصعب جزء في هذه التجربة وربما أكثرها دهشة هو أنا)[١٧] وقد يكون ظهور السخرية عبر تساؤلات مربكة تطرحها الكاتبة الهنوف برعب على أعين القارئ فتقول: (كنت أتساءل مرات بسخرية من هم؟ كيف يرونني؟...كانت الفكرة تنهشني ولا أستطيع تحملها ...رغم أن هذه الكلمات تبدو بسيطة وعابرة، إلا أنها تخلق في داخلي كثيرًا من التوجّسات والضجر، ويبدو مزاجي متقلبًا وحادًا)[١٨].

وإذا نظرنا في سرد الكاتب غازي القصيبي فتتبين سخريته من خلال إجاباته وتعليقاته على طلبات القراء بأن يلقي قصائد له في وسط لا يكاد يعرفهم يقول :(إن الشاعر ليس جهاز "راديو" يفتح ويغلق تمشيًا مع ما يطلبه المستمعون!)[١٩].

هناك فكرة شائعة بأن الشخصية الساخرة شخصية سعيدة متجاوزة لكل الألم والهموم ولكن كثيرًا ما تنحرف بعض هذه الشخصيات عن القاعدة فتجد خلف سخريتها عذابات لا تنتهي ممتدة على امتداد الروح تعتمد على الموت لتخليصها. وقد ظهرت هذه الشخصية في سيرة الكاتب عبد الله مناع حين ذكر بأن هناك شبهة في موت صديقه العزيز صاحب السخرية العميقة واحتمال بأنه أنهى حياته انتحارًا وضجرًا يقول: (الذي بدا عند وقوفنا الى جواره بإحدى الميادين ناحلًا حزينًا وكأنه ينشد رائعته الشهيرة: «يتيمك يا روما.. ها هو يعود لك ثانية..»! وعندما عدت من «لندن» كنت سعيدًا برؤيته وأحاديثه الساخرة العميقة الضاحكة.. لأتفاجأ بعد شهور بخبر وفاته الصاعق مع شبهة أن لا يكون موته قضاءًا وقدرًا بل ضجرًا وانتحارًا)[٢٠].

يعد هذا النص للكاتب عبد الله مناع من أرقى وأعمق ما توصل إليه كتاب السخرية في هذا الفن الذي يعتمد على التحليل النفسي حين يهتم بتصوير الحالات النفسية واختلال مقايس الأشياء عند أحد الأشخاص، فترى الكاتب يرافق شخصية ساخرة ويصفها بقوله: "وأحاديثه الساخرة العميقة الضاحكة" فيظهر تناقض سلوكه واضطراب نفسيته وتأزم أحواله الوجدانية حتى تصل إلى "ضجرًا وانتحارًا" حتى إذا انجلت هذه السخرية وجدنا أنفسنا ساخرين ثم آسفين ثم متسائلين: "لأتفاجأ بعد شهور بخبر وفاته الصاعق مع شبهة أن لا يكون موته قضاءًا وقدرًا"؟ أي

صلة بين كل هذا الهم المقيم والمخفي وبين الضحكات الساخرة العميقة؟ هذا هو الفن من السخرية القائمة على المفاجأة المتولدة من غرابة الصلة بين السبب والنتيجة.

٢- السخرية من الشخصيات:

يستخدم كاتب السير الذاتية وسائل متعدة في سخريتهم للتعبير عن رأي ذاتي في شخصية السارد أو عن أشخاص مقربين لأنّ "السخرية من النفس قد تُتخذ مدخلاً لاستباحة حمى الآخرين"[٢١] مثل ما فعل الكاتب أحمد السباعي حين وظف السخرية في شرح شخصية جدته البسيطة المؤمنة بقصص الخرافات والأساطير ففي مرة اجتمعت الجدة مع بناتها وحفيداتها فاقترحوا على عمل الفأل فسيق الأمر إلى كاتبنا يتولى زمامه فظل يكذب عليهن ويتمادى في خياله حتى ضجر الشيخ زوج إحدى بنات الجدة وجاء ينصحهن لكن الجدة بعنادها منعته وعبرت عن اقتناعها بكلام السباعي والذي وسمها في النص بالسذاجة يقول عنها: (وهكذا كانت ستي مقتنعة، لأنها ورثت ما تعتقد بأعصابها، دون أن يكون لعقلها دخل فيما تناقش. وقد أفادتني أعصابها؛ لأن بناتها وحفيداتها بما فيهن زوج الشيخ لم تجرؤ واحدة منهن على معارضتها. أما الشيخ نفسه فقد جر أقدامه الى حيث كان يجلس.. ويبدو أنه رأى نفسه أكبر من أن يجادل حميرًا آدميين، ويضيع وقته في ترهات صبيانية. .. لا تستحق الجدل..

عفا الله عنك ياستي في دار الخلود؛ فقد كانت سذاجتك أسوأ معلم ربانا على التخريف، ودس في بواطن أعماقنا ما لا نزال إلى اليوم رهن إساره رغم ما نحاول من علاج)[٢٢].

يبتكر السباعي الصورة ويضيف إليها انفعالاته وتجربته وشريحة من الواقع من حوله ويشكلها بأسلوب ساخر مميز يضع فيها بصمته الخاصة ففي النص السابق يفاجئك السباعي بالتعبير عن شخصية الشيخ وتخمين رده فعله بشكل ساخر وذلك في قوله: (ويبدو أنه رأى نفسه أكبر من ان يجادل حميرا آدميين) وتجده أيضًا يحلل أوضاع الشريحة الاجتماعية المهتمة بالأعمال الساذجة كالفأل وغيرها وتأثيرها على بواطن وأعماق الأطفال من خلال إبراز عيوب الجدة بصورة ساخرة.

أننا لنرى في صميم السخرية كتابة السباعي عن نفسه وبكل نوازعه ومشاعره فهو ليس منفصلًا عمن يسخر منهم أو يهزء بهم بل إن هناك ظلالًا من شخصيته وانعكاسات من نفسيته تبرز بوضوح حين نسبر أغوار الصورة وذلك في قوله: "أن يجادل حميرًا آدميين، ترهات صبيانية، لا

تستحق الجدل" ففي الأولى وصف نفسه وجدته وبناتها بالحمير الآدميين والثانية وصف حديثه وأقوله الخالية من النفع بالصبيانية والثالثة سخافة وتفاهة الجدال معه. وما الشخصيات من حوله إلا مثله، فالجدة وبناتها كانوا تحت مظلة هذه السخرية وصفاتها.

"طريقة السباعي في السخرية من نفسه وسذاجة جدته ومن سلوك الشيخ ما هي إلا رغبة في نفسه لنقد المجتمع ومحاولة التخلص من العادات السيئة المتبعة في ذلك الوقت والتمرد عليها وذلك من خلال السخرية والترويح عن النفس والمعروف عن شخصية السباعي أنها "متطلعة إلى تغيير المعتاد والمألوف، ومن ذلك تصريحه بأنه يمقت التقاليد"[٢٣].

وثمة سمة أخرى من سمات سخرية السباعي وطرافة نوادره وهي أنه يبدو دائما رفيقا بأصدقائه عطوفا عليهم لا يحقرهم علانية ولا يتشمت بهم مباشرة. وإن كان ذلك كامنا فوراء ستار شفاف من الفن حيث يتركنا نحن نهزأ بهم أو نرثى لهم. "وجد طريقته المثلى للاستمرار عبر الكتابة التي تمزج الذات بنقد الآخر والعالم من منظور ساخر وجدي في الوقت نفسه"[٢٤].

حيث يستخدم السباعي التناص والتلميح وهي إشارة إلى المبالغة في السخرية وإظهار الأشخاص موضع سخريته بصورة سيئة تكشف حقيقتهم يقول: (وتقلنا الحمير كما تقل الصافنات الجياد فرسانها ولم يكن لي قبل اليوم عهد بركوب الحمير...ولكنني أبيت إلا أن أثبت فوق صهوة الحمار، وأعلن من فتوتي ما يؤهلني لمخالطة هذا الصنف القاسي من الناس)[٢٥].

يمثل الفرار إلى الذاكرة والذكريات تجليا آخر من تجليات السخرية من خلال المقاومة فالكاتب أحمد عبد الغفور عطار يبني السخرية على مواجهة الجو الخاص بالسجن والسجانين، وذلك عبر تفكيكها وإدراجها في سياق آخر وبلسان آخر وشخصية أخرى "السقا "التي يقول عنها: (وكان أحد سجناء جدة يدعى «السقا» وكان ظريفاً لطيفاً خفيف الروح، وله أسلوب رائع في الحديث، ولهجة ساخرة خلابة، وأخذ "السقا" يقصّ علينا قصة ممتعة، زادها أُسلوبه الساحر روعة وإمتاعاً.... ولم نحسّ إلا والليل قد انتصف... وجاء دور ناموسيتي التي تُنصب كالزورق المقلوب فلم تسلم من تعليقات "السقا" المرِحة اللطيفة، فكانت ناموسيتي خاتمة مطاف السهرة الممتعة والضحكات المرحة، وكم في السجن من مرح وضحك!)[٢٦].

من علامة التعجب الظاهرة في نهاية النص يتضح لنا انقلاب المقاييس عند الكاتب أحمد عبد الغفور عطار فالقاعدة المتعارف عليها في مثل هذه المواقف ومثل هذا المكان – السجن– هو الحزن أو الندم ومحاسبة النفس على الأخطاء التي دفعته لتواجده في هذا المكان. فالكاتب لم يألف وقد يكون لم يستوعب أنه من الممكن أن تتغير هذه الأجواء وتصبح مصدراً للضحك وللمرح وتتقلص فيها الأوقات بسرعة، وذلك من خلال وجود شخصية تمتلك روح السخرية المبهجة وتحمل في روحها الضحكة الماتعة فشخصية "السقا" أخذت من فن السخرية متنفساً لها وللسجناء وصنعت حاجزاً ضد أجواء السجن القاتمة.

يقول متندرًا ساخرًا من اسم السجن (الفرن) وارتباطه بالخبز لذا كان الدعاء أن يميت الله مدير السجن وجنوده جوعًا: (وكنت أنا على الدكة قريباً من الباب أسمع وأرى، وبعد أن أخذ ساعة في إكمال قصته ودعنا جميعاً ... ودعا لزملائه جميعاً بأن يطلق الله سراحهم، وأن يميت مدير السجن وعسكره جوعاً، لأن رزقهم يأتيهم بسبب السجناء، ولو خلا منهم الفرن لماتوا جوعاً)[٢٧].

تسلح العطار في هذا النص بالذكاء الحاد، فقد ذكر لنا السخرية المفرحة المبهجة التي تخلق من عنق المعاناة، وتتجاهل الضعف والحزن المخفي في طيات نصه فهو يقول: "وكنت أنا على الدكة قريباً من الباب أسمع وأرى" هذا القرب من الباب دلالة عن محاولة هروب عطار من أجواء السجن فمعظم أفراد السجن وحيدون، ولكنهم ليسوا منفردين ولا منعزلين، لقد فرضت عليهم العزلة من الخارج، فهم وحيدون، وهم يحاولون الخروج من الوحدة، ولا يطلبونها ولا يسعون إليها، بل يكافحون للاندماج في الآخرين، والتوحد معهم.

محاولة هروب عطار من أجواء السجن والاشتغال بالنفس. وسد الثغرات الضعيفة بمعول السخرية المبهجة، فنرى أنه لم يذكر قصة هذا السجين "السقا" رغم أنه أخذ من الوقت ساعة "وبعد أن أخذ ساعة في إكمال قصته ودعنا جميعاً "

ونستطيع أن نجد في فكاهات عباقرة السخرية ونقدهم العميق البناء فيضًا زاخرا من الأفكار المكشفة، يرسلونها عميقة حارة صادرة عن أتون نفسهم الكبير.

نظرة الكاتب إلى السخرية تتمشى مع كون السخرية شيء جيد ما لم تتجاوز حد الإيذاء وتحولها من سخرية ممتعة إلى سخرية إيذاء نفس ومشاعر.

وفي نص آخر وظف فيه عطار السخرية القائمة على التصوير الكاريكاتوري وهو "الرسم الفكاهي الذي يغالي في إبراز العيوب، وذلك بالتهويل في إبراز السمات الواضحة أو الشاذة في الصورة، بغية إحداث أثر ضاحك أو ساخر من خلال الخطوط القليلة التي تقدم لنا صورة أو مشهدا حيا مجسما، حافلا بالإيحاء"[٢٨] فقدم عطار صورته وهو يعاني من ظلم الجندي الذي يهجم على طعامه في كل مرة ويتركه ضحية للجوع وللتفكير فرسم معاناته على هيئة كلب شرس يعض بأسنانه المؤلمة وهي رسمة كاريكاتورية ساخرة ومحزنة يشفق فيها عطار على نفسه ويبرز فيها عجزه أمام هذا الجندي النهم يقول: (ولكنه قبحه الله ألف بعد بضعة أيام الفلفل واستطابه، وأخذ يلتهم الطعام، وصرت أنهض جائعاً، وعاد كلب الجوع يعض بأسنانه المؤلمة، وعدت إلى التفكير في مشكلة الجوع العويصة الخطيرة المعقدة.

ومضت أيام ثلاثة وأنا أفكر فيها بكل ما وهب الله لي من ذكاء وعقل ولم أهتد إلى حل، وأخيراً تشجعت وصممت أن نتقاسم الطعام وأصارح الجندي النهم)[٢٩].

إن سخرية عبد الغفور عطار تسمو على ذلك النوع السطحي من السخرية الذي يعتمد من أجل الإضحاك والقهقهة على الحركات الخارجية المصطنعة والأعمال غير المألوفة التي قد تستجلب منا الضحكات ولكنها لن تثير فينا التأمل أو أي شعور بالحزن والإشفاق.

وازدهرت السخرية بأسلوبها الفكاهي الظريف عند المبدع حسن نصيف وبشهادة الكاتب أحمد قنديل الذي قدم لكتابه "مذكرات طالب" حيث قال: (فالتصوير الفكاهي الساخر –هو العنصر السائد– أو نقطة الارتكاز في كل فصول هذه المذكرات)[٣٠].

ويلجأ نصيف في كثير من الأحيان إلى الومضات السريعة التي تكشف عن شخصيات أصدقائه وتحمل الطابع الساخر وتشبع غريزة السخرية المتغلغلة في ذاته يقول: (وأن أحمد المبارك سمعه أبو السعود الابياري وهو يغني فبشره بمستقبل طيب في عالم الغناء – لا قدر الله ... وأن حسنى بخش وعبد الله أبو العينين كانا يسكنان في البعثة في غرفة واحدة ولهما منهج واحد في الحياة، ويتعاونان في كل شيء حتى في عمل الطرنبة. وأننا أثناء الغارات على مصر كنا ندير غارات أخرى في دار البعثة كان هدفها حامد هرساني وهو من الخوافين فكان يلجأ الى سريره ويتغطى ويتلو أدعية الطواف والحج التي حفظها طيلة حياته)[٣١].

يمكن القول بأن سخرية الكاتب حسين نصيف كانت وليدة الموقف واللحظة ومن واقع يسوده اللطف والمحبة والسخرية في هذه البيئة.

وكانت سخرية أبو عبد الرحمن الظاهري ناقدة فيها من المفارقة الجميلة فكتب عن أصدقائه من الأموات بصورة يسخر فيها من ندرة من يصلحون للصداقة في زمانه وبأن مؤلفات الأموات هي من تستحق المعاشرة والصداقة يقول: (أحببت الشيخوخة لأنني منذ نشأت بصحبة الشيوخ بتحجير والدي رحمه الله. وجمهرة أصدقائي اليوم من الشيوخ الأموات أناجي مؤلفاتهم وسير أخبارهم)[٣٢].

ويكثر الظاهري من أسلوب السخرية الخاطفة خاصة حين يصف مديره في المدرسة وبأنه من الشريحة التي يتولون المناصب وهم غير أهل لها يقول: (أذكر زيارة الشيخ محمد بن مانع رحمه الله للمدرسة وكان مديرنا يحفظنا نظماً ميتاً يمط به لسانه ويرخي به حنكه على أنه لحن وأناشيد وطنية)[٣٣]. إن الدافع وراء سخرية الظاهري كانت شخصية المدير الكلاسيكية التي تؤمن بالحفظ والتلقين وهي عكس شخصية الكاتب الميالة إلى التفكير والإبداع وهذا التباين بين الشخصيتين أظهرت الموقف في صورة مفارقة وساخرة.

أما فن السخرية عند عزيز ضياء فقوامه التشويه الشديد للمنظر الإنساني الخارجي توصلا إلى تخصيص وتأليف الأغاني للسخرية من الشخصية وتحطيم صورتها ثم تركها أضحوكة من الأضاحيك، والسر في عملية التشويه هذه أن عزيز ضياء دقيق لا يكتفي بالمراقبة العينية والذهنية المجردة كما يفعلها مثلا الظاهري أو حسين نصيف بل أننا نرى دقة الوصف والاهتمام بالتفاصيل والثقافة الواسعة ودراسته الشاملة لأحوال الناس والمجتمع. فيذكر حين كان يدرس التمريض في مكة ظهر لهم دكتور عبوس أمطره طلابه بالألقاب ومنهم الكاتب عزيز فيحكي تفاصيل الموقف بقوله: (رغم أهمية المعلومات التي يفيض في شرحها الدكتور بعبوس، كنا نضيق به ونحسب الدقائق التي بقيت له من الحصة، فلا يكاد ينتهي ويخرج حتى نتسابق للخروج، أو للتعبير عن مشاعرنا نحوه بتعليقات نتفنن في ابتكارها... والأمر، أننا ابتكرنا له أسماء سخيفة....، منها على سبيل المثال: (أبو رقعة) و(بارم ديله) و(العم شنطف).. وكان اسم (أبو رقعة) لأن قميصه الأبيض كانت به رقعة عند الكتف من الخلف لا ندري كيف لم يحاول التخلص منها، أما (بارم ديله) فهو اسم لا علاقة له بشيء من المسمّى، سوى رغبتنا في السخرية منه، ويبقى (العم شنطف) وهو مقتبس من كلمات لعبة كنا نلهو بها في المدينة يرددها المنتصر على زميله في اللعبة، ليقول: (عمك شنطف..

جاك أيش تديله) ويجيبه الآخر (أديله مداس أو كورة) مثلاً وهي إجابة خاطئة وعندئذ يردد الجميع بصوت مرتفع وبنغمة خاصة مع التصفيق الحاد (عمك شنطف جاك أيش تديله)[٣٤].

لقد تبنى السارد عزيز ضياء هذه السخرية التهكمية الناقدة على دكتور مادته واكتسى نصه بغياب الاحترام وقلة الوعي باعتبارها ردة فعل قد يراها البعض طبيعية بسبب تعامل وعبوس دكتور المادة. فالسخرية من أساليب المقاومة التي يعبر بها الساخر عن تحديه خصمه أو تعاليه عليه أو يعبر بها عن إنكاره لوضع أو شيء لا يرضيه والسخرية إما أن تكون من شخص وإما أن تكون من وضع غير مرض، وفي كلتا الحالتين تعبر عن موقف الساخر ودرجة سخطه وإنكاره وعن مقدرته في صياغة السخرية.

ونلحظ أن السخرية لا يتقنها أي سارد وتحتاج إلى موهبة خاصة لأنه من الصعب أن تضحك شخص أو تسخر منه لا بد من مهارات مكتسبه كالذكاء وسرعة البديهة والإبداع في التصوير.

٣- السخرية من الواقع الاجتماعي:

ومن وجوه السخرية الواضحة في السيرة الذاتية السعودية السخرية من بعض المظاهر الاجتماعية وقد استطاعت الكاتبة والشاعرة هدى الدغفق أن توظف هذه السخرية خاصة السخرية الاجتماعية في سيرتها (أشق البرقع أرى) بصورة الإنكار والغضب على المجتمع الذكوري المتسلط المصادر لحرية المرأة فهي ترفض بسخرية جافة طريقة تعامل هذا المجتمع الذكوري مع حياتها وحياة نساء مجتمعها وتحكمه القاتل بكل تفاصيل حياتهن.

فنسجت الموقف على صيغة السخرية للتعبير عن رأيها بكل جرأة وتجرد وللتنفيس عن مكبوتات الغضب المتراكمة منذ سنوات وكون السخرية وسيلة فعالة للتواصل بين الأشخاص والجماعات ولها القدرة الفائقة على نقد السلوك الاجتماعي بطريقة مقبولة، فهي تؤثر في إبراز العيوب والمظاهر السلبية وتضخيمها تقول: (لست من كوكب آخر، أو جغرافيا خيالية، لكنني امرأة من المملكة العربية السعودية. امرأة مثل آلاف النساء في هذه الأرض المقدسة. أنظر إلى الحدبة المحرمة على ظهري، فأنا أتأرجح تقريبًا تحت ثقلها. حزن أجدادي من النساء في عصر ما

قبل الإسلام على لحظة ولادتهن، لكنني أموت كل يوم، في مجتمع أبوي صارم، متجهم وعنيف يسعى إلى حرماني من نصيبي من أكسجين الحياة. كدت أن أختنق داخل البرقع المتجول)[٣٥].

ويلاحظ مما سبق، أن الكاتبة هدى الدغفق أنشأت عالما ساخرا، بعد أن ضاق الشعر عن استيعاب تفاصيل قصتها مع المجتمع الذكوري الصارم، فلجأت إلى السرد، ليأتي كتابها (أشق البرقع أرى) مرآة لمشاعرها ومتنفسها فأغلب عناوين فصولها تتحدث عن تسلط الرجل على المرأة والعبث بحياتها فكتبت (إجحاف متوارث، شريعة الإسلام شريعة المجتمع، القضاء على المرأة، استعباد الجسد قبلية الوعي، ظلمهم الأشد، تنويعاتي هموم).. وغيرها من العناوين.

والسخرية مهمة في هذا البعد الذي يصور المجتمع وهي قادرة على الكشف عن التركيبة الفكرية والاجتماعية والطبقية للمجتمع الذكوري، ذلك بأن السخرية نتاج نظام اجتماعي قائم طبيعته كطبيعة الإنسان متغيرة معقدة في تركيبها. فهي مرآة صادقة تكشف صورة المجتمع غير معدلة.

ووثقت الساردة هدى الدغفق هذه السخرية التي تنطوي تحت البعد الاجتماعي بنص آخر يكشف التركيبة الفكرية للمرأة السعودية والمجتمع الذكوري الناقم عليها ففي سفر المرأة خارج حدود بلادها تجد في جسدها حرية التعاطي مع الألوان والحياة المصحوبة بالنشوة والسعادة ويقابله في بلادها تحكم المجتمع الذكوري والمتسلط على حريتها وقراراتها تحت ذريعة الموروث الجاهلي المتراكم فعلى المرأة أن تتدثر بالسواد حتى لا يستباح شرفها تقول: (سألتني صديقة عربية: لم ترتدي المرأة الخليجية الأسود، فيما يرتدي الذكور اللون الأبيض؟

هكذا تكتشف المرأة السعودية جسدها الطليق خارج حدود بلادها، وما إن تصعد إلى الطائرة في طريق العودة حتى تدفن نفسها بالسواد مجددا، بما يشبه الحداد على موت جسدها الذي تركته هناك، معلقا بين نشوة طارئة، واختناق لاحق وأبدي. ستجرب كل الألوان في شوارع الآخرين، في تمرينات بصرية على الحرية، وستعيش موقتا «خفة الكائن التي لا تحتمل» وفقا لعنوان رواية شهيرة لميلان كونديرا، قبل أن تعود إلى برقعها. الأسود قدري، وشرفي الذي قد يستباح، بناء على موروث جاهلي متراكم)[٣٦].

والملاحظ على سخرية الساردة هدى هو ابتعادها عن الفهم التقليدي للسخرية وأساليبها التي تحتوي على الكلمات الجارحة أو التي تحمل ألفاظ سيئة، إنما تستخدم في سخريتها كلمات لا

تريد معناها الحرفي وإنما تريد نقيض معناها مثل قولها: (وشرفي الذي قد يُستباح) وتعرف بنظرية الإشارة التي ذكرها الكاتب هربرت بول جرايس حين قال: (لا يمكن أن أقول شيئا ساخرا إلا إذا كان ما سأقوله يعبر عن عدائية أو تهكمية أو شعور بالسخط أو التحقير)[٣٧].

كانت البيئة والواقع الاجتماعي المحيط بالكاتبة هدى الدغفق مصدراً خصباً لاستمداد السخرية منه فهي شاعرة مميزة، تلتقط كل التفاصيل الدقيقة وترسمها للقارئ بحيث تجعل من بيئتها وحياتها، نموذجاً لكل النساء التي تعيش في هذا المجتمع فأوردت حزنها وغضبها وتسلط المجتمع الذكوري على النساء جعلتها تستمد منه سخريات تعالج بها عيوبهم وتنتقدها.

قدمت الكاتبة هدى الدغفق أرقى أنواع الفكاهة وهي السخرية، سخرية عظيمة من أوضاع المجتمع الذي تعيش تحت ظلاله، ترى فيه نقصا، وانحرافا عن الكمال الإنساني، والمثل العليا التي تتشوقها في نفسها فتعتريها الحسرة فتنتقد النقص وتسخر منه في قالب فكاهي، أن السخرية الناتجة عن الألم الإنساني في أبعد مراميه، هي السخرية الهادفة التي ترجو للإنسانية الكمال، وتبين للمجتمع نقائصهم، حتى يتخذوا طريق الصواب والكمال، وليس سخرية الإهانة والاستهزاء.

ومن وجوه السخرية من الذات التحولات الكبرى التي تعتري حياة الكاتب أو السارد والتي تعصف ببعض الشعارات وانكسارها على أرض الواقع فتدخله في قلق وجودي وتوتر وتساؤلات تدفعه إلى السخرية من ذاته ومن القيم التي عاشت في داخله مثل الساردة سارة مطر حين كانت تدرس في البحرين تقول سارة: "جلست مع عزيز وتحدثنا. طلبنا قهوة سوداء مثل العباءة التي لم أنزعها"[٣٨].

سارة" عزيز وأنا في مقهى خارج القبيلة، نتسلى بسماع الأغاني التي تأتي من شاشات التلفزيون التي وزعت على كامل المقهى...ندخن " الأركيلة" ونقص قصصنا المصابة دائما بالرشح، ونضيف إليها فواصل من الضحك وعصير الرمان علنا نكتشف أنفسنا أكثر"[٣٩].

تعمل السخرية هنا على تجاوز ما يظهر على السطح إلى عمق الأشياء وتزيل الأقنعة وتعري الواقع، وتجعله يظهر على الصورة الحقيقية التي هو عليها. كثيرًا ما يلجأ الأدباء الساخرون

إلى "أسلوب تأكيد التهكم بما يشبه المدح، وهو أسلوب المدح المقلوب والذي نعته نقاد العرب في القرون الوسطى بالقدح عن طريق المدح"(٤٠).

وهي حالة تكون فيها السخرية لطيفة وطريفة في غاية الطرافة يستمتع بها القارئ ويكتشف مع قراءته الغاية من هذا اللطف والطرافة وهو سوء الممدوح أو تصرفاته وهو ما فعلته أميمة الخميس في سيرتها الذاتية حين ألبست المراقبات في المدرسة بسخريتها دور البوليسي ليكتشف القارئ بعدها بأنه دور الجلاد الذي لا يرحم ضحيته، ثم تعطيهن أهم صفات الصقر وهي حدة النظر وكيفية استخدامها في اختطاف الأشياء الجميلة التي تزين بها الطالبة شعرها تقول ساخرة: (كانت هناك مراقبات تورطن بالدور البوليسي، فأصبحن متشربات لدور الجلاد الذي يخاتل الضحية، لهن عيون الصقور يقفن في الطوابير، وفي منعطفات المدرسة، يقمن باختطاف (وعندما أقول اختطاف فأنا أعنيه) رابطة ملونة زاهية أو مشطا مزركشا أو طوقا مخمليا زاهيا فوق رأس طالبة، كانت تنزع من رأس الطالبة بعنف إما أن يلقى بها إلى الزبالة أو تكتب صاحبتها تعهدا بعد سيل من التوبيخ، إذا ارتدت الطالبة حذاء بكعب مرتفع يطلب منها عقابا لها أن تنزعه وتمشي حافية)(٤١).

هنا تتفوق الكاتبة أميمة الخميس في مدى المراقبة وشدة التشبث بالصورة الساخرة وتفاصيلها ومشاركه حواسها كلها في هذه العملية بعكس الكاتبة سارة مطر التي تكتفي في سخريتها بعمل الذهن والعين المجردة. وتتفقان "أميمة الخميس وسارة مطر" في تغليب السخرية التي تجنح إلى الدعابة وروح النكتة والتصوير الضاحك والوصف الهازل أكثر من ميولهن إلى التهميش والتحقير وتصغير الشخصيات، ونحن معهما لا نشعر بروح عدائية كارهة للشخصيات إنما نشعر بسخرية لطيفة ناعمة بارعة في رصد التفاصيل الضاحكة وتوظيفها –السخرية– في نقد الظواهر الاجتماعية التي تحتاج تسليط الأضواء عليها ومعالجتها.

لغة السخرية في سرد السيرة الذاتية:

١– التناص:

يُعد التناص من المباحث النقدية القديمة المتشعبة، فقد نظر إليه النقاد قديماً على أنه وصف للتضمين أو للاقتباس أو المحاكاة أو المعارضة أو السرقة الأدبية، وغيرها من الأسماء أو المصطلحات التي ما تزال تستخدم إلى وقتنا الحاضر، ومؤخراً حاول النقاد تحديد مفهوم التناص

ووضع آليات له رغم صعوبة هذه الآليات كما أشار إليها الكاتب محمد مفتاح إذ يقول: " من الصعب على باحث واحد أن ينجز تشخيصاً كافياً لتلك الآليات"[٤٢].

أما تعريف التناص فقد قيل فيه بأنه هو: "الفعل الذي يُعيد بموجبه نصّ ما كتابة نص آخر، والمتناص مجموعة النصوص التي يتماس معها عمل ما قد لا يذكرها صراحة (إذا كان يتعلق بالإيحاء) أو تكون مندرجة فيه (في مثل الاستشهاد). إنها فئة عامة الصلات تنقل أشكالاً عديدة، مثل: المحاكاة الساخرة، والسرقة، والكتابة من جديد، والإلصاق، ويشمل هذا التحديد أيضًا علاقات يمكنها أن تظهر شكلاً معيناً الاستشهاد المحاكاة الساخرة الإيحاء، أو تقاطعاً موقعياً ودقيقاً أو أيضًا صلة واهية تستشعر بين نصين ويبقى من الصعوبة بمكان تحديد شكلهما)[٤٣].

تعد النصوص السير ذاتية السعودية —نصوص السخرية– كغيرها من النصوص تتداخل وتتشابك مع غيرها من النصوص الأخرى وتتعدد وتتنوع ومن ضمنها "التضمين" الذي هو نوع من أنواع التناص ففي سيرة الكاتب غازي القصيبي ظهر هذا النوع وذلك حين ذكر أسماء شخصيات وعلماء بارزين في نص ساخر له حيث كان يسخر من متطلبات الجريدة التي تطالب "بسكرتير تنفيذي" لهم وبشروط تعجيزية يقول غازي القصيبي: "هناك، بعد اللغات، طلب أبسط من بسيط: شهادة عليا مع خبرة لا تتجاوز ٣٥ سنة في المهام التنفيذية. وهذا الطلب، بدوره، أسهل من سهل. هل تعرفون –يا جماعة الخير!– سكرتيراً تنفيذياً واحداً لا يحمل شهادة الدكتوراه في الإدارة من هارفارد وخبرة ٣٠ سنة كنائب لرئيس البنك الدولي؟!....

أقول للشركة الحريصة على الخلجنة: إذا بعث الله أرسطو وأفلاطون والفارابي وابن سينا وأمكن خلطهم بمادونا ومايكل جاكسون وعادل إمام فقد تستطيعون أن تجدوا في الخلطة «سكرتيركم التنفيذي».

على أية حال، سعيكم مشكور!! وحلال على الجرائد قيمة إعلاناتكم التي تزيد على مرتب العبد الفقير كاتب هذه السطور مدة سنتين (على الأقل)[٤٤].

وظهر في سيرة هدى الدغفق نوع من أنواع التناص وهو الاقتباس حيث ذكرت الكاتبة كلمات تقاطعت مع الشاعر الكبير المتنبي فبعد أن سخرت من ذاتها عن طريق الأمنيات المستحيلة التحقق مثل أن تكون امرأة بلا وعي ولا ثقافة ولا حتى عقل أو خيال وأنهت هذه

السخرية بكلمات ورأيٌّ تبنَّاه وسبقها إليه المتنبي حيث تمنت بأن تكون جاهلة تنعم بهذا الجهل فتقول: "قبل أن أروي حكايتي مع الكتابة وأمام رفض عائلتي الصارم بأن يظهر توقيعي على ما أكتب تمنيت أن أكون أنثى بلا وعي ولا ثقافة ولا عقل ولا خيال لتنعم بي جهالتي وأنعم بها"(٤٥).

في النص السابق استخدمت هدى الدغفق "الميتناص" والذي هو عند جيرار جينيت "العلاقة التي تربط نصاً ما بنص ثانٍ يتحدث عنه دون الاضطرار إلى ذكره. وهي علاقة النقد والتعليق، وتصل بين نص وآخر بحيث يتضمن الثاني حديثاً عن الأول سواء أكان التعليق صريحاً معلناً أو ضمنياً مضمراً"(٤٦). والساردة هدى في آخر نصها تقول: " لتنعم بي جهالتي وأنعم بها" وهي عبارة مضمرة تذكرنا وتدلنا على بيت المتنبي الشهير الذي يقول فيه(٤٧):

ذو العَقــــلِ يَشـــقى فـــي النَعـــيمِ بِعَقلِـــهِ وَأَخـو الجَهالَـةِ فـي الشَـقاوَةِ يَـنعَمُ

وكأنها ربطت نصها أو عبارتها وضمنتها بمعنى ونص بيت المتنبي المشهور للتذكير بحالتها ووضعها مع عائلتها والمجتمع، فالساردة امرأة متعلمة تنبض بالحياة والقراءة والكتابة تخوض صراعًا من أجل أبسط حقوقها مثل وضع اسمها على منتجها الأدبي فكيف بباقي الحقوق؟ وفي لحظة سخرية ممزوجة باليأس فضلت هدى نعيم الجهل على نعيم العلم.

ومن آليات التناص "المستنسخات النصية" وهي (عتبات نصية خارجية وداخلية ترد في شكل تيبوغرافية لغوية وبصرية بارزة وعادية للإحالة والتضمين والإيحاء والإشارة إلى خلفيات النص وما وراء الرسالة الإبداعية التي لا تخرج عن كونها خطاباً تناصياً قائماً إما على المحاكاة المباشرة أو غير المباشرة، وإما على الحوار والمستنسخ التفاعلي)(٤٨).

وتتجلى أهمية المستنسخات النصية في تعالقها مع النصوص الأخرى، وبناء العلاقات معها فتظهر مثلا كلمة من القرآن الكريم أو جملة من الحديث النبوي الشريف أو معنى من بيت شعري أو حكمة أو جزء من كتابة ما، فيزيد من معنى النص أو يحرره، وكما أن المستنسخات النصية وسيلة تواصل بين المؤلف والقارئ حيث يقوم دورها على (تسهيل القراءة؛ لأنها تعكس طبيعة النوع الأدبي، كما تساعد على سيرورة بثّ وإنتاج النص الأدبي؛ لأنّ استخدامها في الخطاب الأدبي يسمح، إما باختزال المعلومة، وذلك بالإبقاء على ما يفترض أنه معروف من

العناصر مسترًا، وإما على العكس من ذلك مخالفة توقعات القارئ، ثم إن القوالب المعبرة عن التراث المشترك للأفراد المنتمين للثقافة نفسها، تصبح مؤشرات لمعرفة يفترض أنها مشتركة بين المؤلف والقارئ، كما أنّ سهولة الوقوف عليها في النص، يعد دعوة للقارئ ليكون في مستوى تحديدها)[٤٩].

تتنوع هذه المستنسخات النصية بحسب موقعها السردي وتوظيف الكاتب لها فظهرت المستنسخات الدينية والسياسية والشعرية والفلسفية والحكم والأمثال وغيرها في السير الذاتية السعودية. وقد أظهر الكاتب غازي القصيبي في سيرته المستنسخ الديني فحضرت بعض الكلمات المتقاطعة مع القرآن الكريم لتظهر عمق العبارة وتأثيرها على المشهد يقول غازي القصيبي: (يقول صديقنا الشاعر تقي البحارنة يصف نادلة: (أي جرسونة) جميلة رآها في مؤتمر للبرلمانيين العرب تقدم الطعام للبرلمانيين الأفاضل:

فمشوا إلى غرف الطعام.. مع الهنا والعافية.

فالكل يدعو «نادية».. ويقول: «هاتي زاديه!»

إلا أنا! .. فلقد فتنت بها.. وليست داريه

فأقول: قد تأتي عساها صدفة.. أو ثانية)[٥٠].

يحيل غازي القصيبي الموقف أو المشهد إلى القرآن الكريم ليوظف من الآية الكريمة "فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ مشهد "النداء" وبشكل يخدم سخرية صديقه من نفسه ووضعه فقد أغرم "صديق غازي" بالنادلة وهم في مؤتمر مهم " للبرلمانيين العرب "فنطق بكلمات: "ناديه" و"زاديه" و"ليست داريه"على غرار آيات من القرآن الكريم وهي وسيلة لتدعم العامل النفسي الذي يمر به الصديق ويسهم في توضيح صورة الغرام، ويكون النداء المروي مقنعًا بدلالته، وبفضل تضمينه بالآية القرآنية التي أسهمت في إنتاجية المعنى.

ومن المستنسخات النصية المهمة "المستنسخ النفسي" الذي يعتمد عليه كتاب السير الذاتية حيث (حيث يعمد كتاب السيرة الذاتية إلى توظيف مقولات لعلم النفس أو علم التحليل النفسي في مرويات سيرهم ؛ وذلك بغرض استكناه دواخل النفس والكشف عن حالاتها وانفعالاتها، وطبيعة علاقتها بذاتها أو بمحيطها هذا التوظيف يمثل رافد إغناء جمالي ودلالي على الخطاب السيرذاتي الراوي منه والمروي، كما يكشف عن إحدى مرجعيات كتاب السيرة الذاتية

السعودية المعرفية في مجال علم النفس وتمثلهم له في كتاباتهم عن ذواتهم، فالسيرة الذاتية هي بالأساس نتاج تفاعل الأنا ذاتاً ساردة وشخصية)[٥١].

ويحضر هذا "المستنسخ النفسي" في نص سيرة الكاتبة أميمة الخميس "ماضي- مفرد- مذكر" متخللا مقطعًا سرديًا لها في مقولة: «الوحش» لسيغموند فرويد حيث صورت المراقبات وتحوّلهن إلى شبه سجانات، في سخرية يائسة بائسة من حالهن وتعاملهن مع الطالبات وذلك من خلال مصادرة حريتهن وسلب أبسط حقوقهن وتقصي خصوصيتهن فتفصح عنهن بقولها: (تتحول طبيعة كادر المدرسة – ولا سيما المراقبات إلى أدوار تقترب من السجانات في الشراسة وسوء الخلق وتقصي خصوصية الطالبات تلك الميكانيكية الخفية التي توزع أدوار الضحية والجلاد، فداخل تلك الطبقات المغيبة في اللاوعي، يكمن الوحش كما يقول (فرويد): الوحش الذي يطلّ برأسه إذا وجد الوقت مناسباً أو تهيأت الضحية المستباحة العاجزة عن الدفاع عن نفسها)[٥٢].

وكأن اسم عالم النفس "فرويد" يثير في حروف أميمة فكرة الظلام الداخلي، أو النفس المفترسة وإسقاطها على المراقبات المتوحشات الجلادات واللاتي لا يعترفن بالحقوق ولا بالإنسانية وتكشف عن شريحة قد تكون مغيبة عند البعض فعبرت عنها أميمة بفلسفة "الوحش"، لأنن هذا المصطلح يشير إلى مخلوق مخيف، أو إلى شخص يتصف بالشراسة والعدوانية.

٢- السجع:

ترصد السيرة الذاتية بعضًا من السخرية التهكمية التي تحمل بيان الواقع وتعكسه في أسلوب السجع وهي أرقى أنواع الفكاهة وهي سخرية تحتاج إلى ذكاء حاد، وخفة ومكر، وبراعة وقدرة على الخيال فهي توجه إلى شخص معين أو إلى حالة ما لتحويلها إلى سخرية ممتعة وقد تميز بها الكاتب عبد الكريم الجهيمان في سيرته "مذكرات وذكريات من حياتي" فقدم سخرية مسجوعه تتم من خلال التهكم على الذات في الماضي، وقد اعتمدها في بعض فصوله كان يقول مثلا: (ويقول لي: هذا جزائي منك وقد أردت بك خيرا.. وانقاذك من الضياع.. وأخطار السباع! ولا أدري... اعتذرت له بأنني فعلت هذه الفعلة في عمر لا يؤاخذ عليها الصغار.. فالصغير كالبهيمة جرحها جبار)[٥٣].

وشخصية الجهيمان هادئة تميل إلى التأمل والتحليل والفلسفة، وكثيرًا ما تمزج الفلسفة بالسخرية اللاذعة ويتمثل ذلك في حرصه على شخصيته والاهتمام بها وبأسلوبها ورصد مظاهر

التأمل بها فهو لا يترك موقفًا دون أن يحاسب نفسه يقول: (ولا يفوتني أن أذكر أن لي عدوين نسيت أن أذكرهما، أما أحدهما فإنني أحمله بين جنبي، وهو نفسي، فالنفس وشهواتها وأهواؤها قد تجر الإنسان إلى بعض ما فيه مقال. أما العدو الآخر فهو الشيطان.. الذي يحاصرنا من شتى أقطارنا ... ويحاول خداعنا وإيقاعنا في المحظورات الكبار فإن عجز عن ذلك حاول أن يغرينا بالصغائر التي تجر إلى الكبائر ... وهكذا فهو يُجْلِب علينا بخيله ورجله ... ويأتينا من ذات اليمين وذات الشمال)[٥٤].

نجد تعلق الكاتب عبد الكريم جهيمان بالسجع واضحاً في النص السابق فقد ظهرت الكلمات المسجوعة مثل" خداعنا وايقاعنا ، بالصغائر، الكبائر، بخيله ورجله" وهو نهج يتكرر بصورة ملفته في سيرته "مذكرات وذكريات من حياتي" وقد ذكر الجهيمان مرة أنه يشفق على (أولئك الذين يأخذون جميع أمور الحياة على أنها جد في جد)[٥٥] ومعروف عن شخصية الجهيمان بأنها "شخصية تنزع إلى إشاعة المرح والفكاهة، ومزج الجد بالهزل، ومحاولة الترويح عن القارئ بإيراد بعض الطرف، فكأنما هو جاحظي جديد"[٥٦].

وهذا الميل إلى النقد الساخر اكتسبه –فيما يظهر– من بيئته التي ولد فيها ونشأ ودرس دراسته الأولى (منطقة الوشم) فساكنوها مشهورون بروحهم المرحة ولسانهم المتهكم –كما يذكر أحد الكتاب–[٥٧].

ودخل القصيبي هذه المنطقة "السجع ساخراً" وأصبحت هي السمة الواضحة والعلامة المميزة في شخصيته الكتابة وفي بعض أدبه السير ذاتي فذكر مواقف ومشاهد كثيرة تحمل في طياتها عبارات مسجوعه وسخرية لاذعه مثل قوله: ("بينما كنت في لذيذ الأحلام. إذ بي في حضن حلم من الأحلام وجدت فيه نفسي السكرتير العام بطرس غالي الهمام. وقد دخل علي الناموس. وهو إنسان يشبه الجاموس. شديد العبوس، طويل الجلوس. قال: هناك بعض البرقيات. فقلت له: «هات!» قال: «نشبت الحرب بين برندي وزائير ومات الكثير. وخلفت الكثير من اللاجئين. ومعظمهم من الجائعين». قلت: «فماذا قالت مادلين؟». قال: «قالت: إن لم يجدوا الكعك فليأكلوا الطين»)[٥٨].

غازي القصيبي مولع بالسجع في هذا النص ونصوص أخرى كثيرة، وكثيرًا ما يعمد إلى ذكر الكلمات المسجوعة القصيرة ذات الدلالات العميقة وأبرز مثال على ذلك تشبيهه

"للشخص بالجاموس العبوس طويل الجلوس" وهو يجمع بين الصفات الحسية والمعنوية تأكيد على السخرية اللاذعة والتهكم الواضح.

وقد تواتر السجع في سيرة غازي القصيبي فظهر مرة أخرى في نص يحمل السخرية من قصص اجتماع وزراء الصناعة في البحرين الذين يبحثون في تصنيع البضائع فذكر "أبو أحمد" حين حاول الجلوس في مقعد الرئيس وزلزل الوزراء بخطاب بئيس وكان ينوي أن يستمر في الرئاسة. ففطن له وزير ذو كياسة: «هناك نقطة نظام، وبالنظام يجب الالتزام» ومازال السجع قائم بينهما يقول غازي:("حدثنا الراوي أبو الحزاوي. بقصة واقعية من قصص صديقنا الفلكي الكيماوي. الأستاذ يوسف الشيراوي. قال: كان يا ما كان في سالف الأزمان. أن اجتمع في البحرين وزراء الصناعة. يبحثون في تصنيع البضاعة. وجاء أبو أحمد وجلس في مقعد الرئيس. وزلزل الوزراء بخطاب بئيس. وأراد أن يستمر في الرئاسة. فقال له وزير ذو كياسة: «هناك نقطة نظام، وبالنظام يجب الالتزام».

الله قال أبو أحمد: «هات ما لديك» وقال في نفسه: «حسبي الله عليك!» قال الوزير: "يقضي النظام أن تكون الرئاسة دورية. فكيف اغتصبتها بهذه الكيفية؟ انزل –معاليكم!– من المنصة. فليس لكم في الرئاسة حصة. وبموجب المادة الأولى من الفصل الثاني. يجب أن تكون الرئاسة لمعالي الوزير فلان الفلاني")[٥٩].

٣- الحوار:

يعد الحوار عنصراً مهمًا من عناصر تكوين الخطاب السردي، وهو الأداة المتمثلة في نقل الأقوال والحكايات والانفعالات وكل ما يتعلق بالشخصيات وتمنح السارد أو المؤلف التحكم في صفاتها السردية ويعرفه جبور عبد النور بأنه (حديث يدور بين اثنين على الأقل، ويتناول شتى الموضوعات، أو هو كلام يقع بين الأديب ونفسه أو من ينزل مقام نفسه)[٦٠] وتتعدد أنواع الحوار وتختلف بحسب سردها في السيرة الذاتية السعودية فظهر الحوار المباشر الذي يبرز(حقيقة تلك الشخصيات بشرح مواقفها، وكشف طرائق تفكيرها، واستجلاء عمق الأشياء والغرض في أعماق الوجود ومظاهر الصراع)[٦١].

وقد حضر الحوار المباشر في نصوص الكاتب غازي القصيبي وهو يحاور فواز زوج ابنته يارا ويظهر في بعض ردوده الساخرة الظريفة المضحكة يقول غازي:

- (هل ولدت يارا؟
- على وشك على وشك! ماذا عن الرجاء؟
- أي رجاء؟
- نود تسمية المولود غازي.

نقلت للقراء والقارئات المكالمة بنصها ليتبينوا الحالة النفسية التي كنت فيها..

- قلت:
- سموه «ثعلباً» أو «خنفسانة» أو «وزغة» .. المهم أن تلد بالسلامة.
- قال فواز الذي لم تعجبه الأسماء الثلاثة:
- نريد أن نسميه غازي. هل يمكن أن نسميه غازي؟

قلت: سموه غازي ... أو حتى سيف!!

لم تتضح لي الخطة الماكرة بكل تفاصيلها إلا بعد أن كلمني فواز بعدها بثلاث دقائق (فقط) وقال:

- عمي! مبروك وُلد غازي..
- قلت:
- الحمد الله على السلامة.. ماذا قلت عن غازي؟!

وكان فواز قد أقفل السماعة..

هل رأيتم. أيها القراء والقارئات- أخبث من فواز.. وزوجته.. وهذا الاستغلال البشع لحالة الجد النفسية المنهارة؟!)[٦٢].

في النص السابق يمتد هذا الحوار حتى ينتهي السرد أو الحدث أو الحكاية فالقصيبي سرد الموقف كله بأسلوب الحوار المباشر الذي أسهم في توضيح انفعالاته النفسية التي كانت تسكنه لحظة ولادة ابنته يارا وقلقه عليها، دفعته للسخرية حين طالبه فواز بتسميه المولود على اسمه فاقترح غازي عليه بعض أسماء الحيوانات كالثعلب أو الخنفساء أو الوزغة، كما رصد الحوار المباشر التفاعل الناشيء والصادر من فواز الذي استغل الفرصة وجعل يكرر على الكاتب مطالبته وتذكيره بالرجاء والطلب وهو تسمية المولد على اسمه فوافق في لحظة ضعف وانهيار لحظي ونجاح خطتهم.

ويمتد من الحوار المباشر إلى الحوار غير المباشر حيث إنه يسهم في كشف الحوارات القائمة بين الشخصيات أو تعبير السارد على لسان أحد الشخصيات ولا يتقيد الحوار غير المباشر بزمن محدد أو مكان فـ(الحوار غير المباشر لا يخضع إلى زمن محدّد ولا إلى مكان معين، وإنما يتعلق بالشخصيات المتحاورة ووضعياتها، ويأتي الحوار غير المباشر امتداداً للحوار المباشر، فهو يرد على لسان شخصية أخرى، وهو صوت ينضاف إلى بقية الأصوات كصوت المؤلف وصوت الراوي، هذا التعدد اللغوي يسهم في الكشف عن الشخصيات المتحاورة)[٦٣] ونجد هذا النوع من الحوار في سيرة غازي القصيبي حيث يقول ساخرا متهكما: (في ديوانه "الحان الخلود" وهو مليء بقطع نثرية هنا وهناك. يورد صاحب الديوان الدكتور (آسف الدكاترة) زكي مبارك –رحمه الله– عجائب من الاعتداد بالنفس.

يقول على سبيل المثال لا الحصر:

- ستبيدُ أحجار الجامعة المصرية ويبقى كتابي (النثر الفني).
- "ولن يستطيع ناقد متحذلق أن يكتب حرفاً في نقد هذا الديوان، فما عرفت اللغة العربية في تاريخها القديم، وتاريخها الحديث، قلماً أمضى من قلمي، أو بياناً أبلغ من بياني».
- "لقد نظمت أكثر من ثلاثين ألف بيت في غرض واحد هو التغني بجمال الجمال».

قال أبو يارا:

- نظم المتنبي أقل من ستة آلاف بيت معظمها من الشعر حقيقي. أما الدكاترة، ذو الثلاثين ألفاً فلم أعثر في شعره كله إلا ببيتين اثنين من الشعر الحقيقي)[٦٤].

في النص السابق أظهر لنا الحوار غير المباشر نوايا الكاتب غازي القصيبي في السخرية المتهكمه من الدكتور زكي مبارك حين قال: "صاحب الديوان الدكتور (آسف الدكاترة)" ومن نرجسية هذه الشخصية التي تملك إحساسًا عاليًا وبشكل غير معقول بأهمية الذات والحاجة إلى سماع عبارات الإطراء والإعجاب باستمرار وبشكل مفرط، والشعور بأنها تستحق أن تخلد للأبد وأن تعامل معاملة خاصة. وتضخيم إنجازاتها ومواهبها بشكل أكبر مما هي عليه الانتقاد، والتعامل بتعالٍ مع الأشخاص الذين لا يشكّلون أهمية خاصة من وجهة نظرها، وهذه ظاهرة في قول زكي مبارك: "ولن يستطيع ناقد متحذلق أن يكتب حرفاً في نقد هذا الديوان، فما عرفت اللغة العربية

في تاريخها القديم، وتاريخها الحديث، قلماً أمضى من قلمي، أو بياناً أبلغ من بياني». حتى جاء الرد من غازي القصيبي وتحجيمه بسخرية لاذعة في عبارات من مثل: قال أبو يارا:

– أما الدكاترة، ذو الثلاثين ألفاً فلم أعثر في شعره كله إلا ببيتين اثنين من الشعر الحقيقي."

فنلاحظ أن الكاتب غازي القصيبي يجعل السخرية بنفس المعنى مع مفهوم التهكم، والواقع أن التهكم يلتقي مع السخرية في كونهما يدلّان على الهزء إضافة إلى ما يشعر به الساخر والمتهكم من أفضلية على الآخر، وتحقيره وتنمية روح الدونية عنده.

ولعلّ أبرز ما يفرق بين المصطلحين (السخرية والتهكم) هي أن التهكّم يمثّل أقصى درجات السخرية، فيصبح الموقف النقدي أعظم درجةً، ويحتد الإحساس بالمرارة، ويقل عنصر الإضحاك، كما أنّنا "نجد النقد يتجه نحو الهدف يسدد إليه منفصلاً عنه، منتصرا عليه"[٦٥].

المتهكم يسعى إلى تصوير المتهكّم به في أبشع الصور وأقبحها، وبالتالي فهو يعمل على تدمير ذات المتهكم به وهدم كيانها، فالتهكم نَصفُه بأنّه أشد مرارة وقسوة على ذات المتهكم به من السخرية. ومن ضمن أهداف السخرية الإصلاح والتقويم وهو ما حاول غازي القصيبي طرحة بذكر أبيات المتنبي وعددها" نظم المتنبي أقل من ستة آلاف بيت معظمها من الشعر حقيقي".

الخاتمة

بعد هذه الرحلة مع الجانب الساخر في السرد السير ذاتي السعودي تناول فيها الباحث التعريف بمفهوم السخرية ومفهوم السرد السير ذاتي، كما تناول ملامح السخرية في السرد السير ذاتي السعودي عند مجموعة من الكتاب السعوديين مصنفًا هذه السخرية إلى اتجاهات ثلاثة هي السخرية من الذات، والسخرية من الأشخاص الآخرين، والسخرية من بعض الجوانب السلبية في المجتمع، وقد +أمكن الوصول إلى بعض النتائج منها:

– السخرية أسلوب من أساليب التعبير ولا تستخدم لمجرد الترفيه والضحك ولكن للتنفيس عن الضجر أو انتقاد المجتمع.

– السخرية في السرد السير ذاتي السعودي على ثلاث ركائز هي السخرية من الذات، والسخرية من الواقع الاجتماعي، والسخرية من بعض الشخصيات.

- اختلاف السيرة الذاتية (ذكريات طفل وديع) لعبد العزيز الربيع عن غيرها من السير الذاتية السعودية في مزجها للسخرية بالجانب الحزين أو المأساوي.
- تنوع السرد السير ذاتي السعودي الساخر بين سرد ذكوري وسرد نسوي على الرغم من القيود المجتمعية التي تفرضها المجتمعات العربية على حرية التعبير عند المرأة.
- السخرية من الذات هو نوع من الاستعلاء على الإحباطات، ولذلك يعد علاجًا نفسيًا للسارد اعتمادًا على فكرة البوح وعلاقته بالتطهير.
- ارتباط السخرية في بعض السير الذاتية السعودية باغغتراب الوجودي مما جعلها تقترب من رواية تيار الوعي.
- خلو السخرية من الشخصيات في السرد السير ذاتي السعودي من الطابع الإثني أو العرقي أو ذي الطابع العنصري.
- اعتماد السخرية من الشخصيات في السير الذاتية السعودية على الرسم الكاريكاتوري للشخصية اعتمادًا على التهويل في إبراز عيوب الشخصية.
- عنف السخرية من الشخصيات في السير الذاتية لعزيز ضياء، حيث لجأ إلى التشويه الشديد للمنظر الإنساني الخارجي.
- كثرة السخرية من الواقع الاجتماعي في السير الذاتية النسوية اعتمادًا على الابتعاد عن النوعين الآخرين.
- اعتماد السرد السير ذاتي السعودي على بعض التقنيات منها التناص الشعري والقرآني والأمثال الشعبية، والسجع ولا سيما عند غازي القصيبي، والحوار بتشكيلاته المختلفة.
- التوصيات: يوصي البحث بمزيد من الدراسات لفن السيرة الذاتية والغيرية في مدونة الإبداع السعودي حيث يمكن رصد المتغيرات المجتمعية والسياسية من خلال دراسة هذا الجنس من السرد.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل،،،

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر:

١- أحمد السباعي: أيامي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.

٢- أحمد عبد الغفور: بين السجن والمنفى، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.

٣- أميمة الخميس: ماضي ومفرد ومذكر، مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١١م.

٤- حسن نصيف: مذكرات طالب، دون ناشر، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

٥- سارة مطر: قبيلة تدعى سارة، يوميات أنثى سعودية حرة، دار ندارك للنشر، الطبعة السادسة عشرة، ٢٠١٥م.

٦- عبد الله مناع: بعض الأيام، بعض الليالي، أطراف من قصة حياتي، دار المرسي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٧- أبو عبد الرحمن الظاهري: تباريح التباريح سيرة ذاتية ومذكرات وهجيري ذات، دار الصحوة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٨- عبد العزيز ربيع: ذكريات طفل وديع، نادي المدينة المنورة الأدبي، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

- عبد الكريم الجهيمان:

٩- أحاديث وأحداث: نشرة خاصة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

١٠- مذكرات وذكريات من حياتي، دار السبل، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

١١- عزيز ضياء: حياتي مع الجوع والحب والحرب، دار التنوير، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

١٢- غازي القصيبي: استراحة الخميس، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

- هدى الدغفق:

١٣- أشق البرقع أرى، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١١م.

١٤- متطايرة حواسي، شذرات سيرية، أزمنة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.

١٥- الهنوف صالح الدغيشم: فرايبورغ رقة العزلة، الدار القومية للعلوم ناشرون، الرياض، ٢٠١٦م.

ثانيًا: المراجع العربية:

١٦- إبراهيم عبد القادر المازني: حصاد الهشيم، مؤسسة هنداوي، لندن، ٢٠١٧م.

١٧- جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.

١٨- جزاع فرحان الشمري: أجناسية السيرة الذاتية السعودية، النادي الأدبي بالرياض، الطبعة الأولى: ٢٠١٨م.

١٩- جميل حمداوي: المستنسخات الروائية، ضمن كتاب محاضرات في لسانيات النص، شبكة الألوكة، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.

٢٠- الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، راجعه واعتنى به: محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٩م.

٢١- رابح العوبي: فن السخرية في أدب الجاحظ من خلال كتاب التربيع والتدوير والبخلاء والحيوان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٢٢- شاكر عبد الحميد: الفكاهة والضحك، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٣م.

٢٣- المتنبي: ديوانه بشرح البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٦م.

٢٤- محمد أمين طه: السخرية في الأدب العربي، دار التوفيقية للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م.

٢٥- محمد برادة: أسئلة الرواية، أسئلة النقد، منشورات الرابطة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٢٦- محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٥م.

٢٧- محمد مفتاح: دينامية النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٢٨- معجب الزهراني: السيرة الذاتية في الأدب السعودي، ضمن كتاب السيرة الذاتي في الأدب السعودي، دراسات نقدية، تحرير صالح الغامدي، وعبد الله الحيدري، الرياض، جامعة الملك سعود، سلسلة مختارات الأدب السعودي، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

٢٩- ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

٣٠- ناصر محمد الحميدي، من مذكرات طالب، مطابع دار الجسر، الرياض، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

ثالثًا: المراجع المترجمة:

٣١- روبرت همفري: تيار الوعي في الرواية الحديثة، ترجمة: محمود الربيعي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٥م.

٣٢- نتالي بيفي جروس: مدخل إلى التناص، ترجمة: عبد الحميد بورايو، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٢م.

رابعًا: المقالات والدوريات:

٣٣- سليمة لوكام: شعرية النص عند جيرار جينيت، مجلة التواصل، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة بناجي مختار، الدار البيضاء، العدد ٢٣، ٢٠٠٩م.

٣٤- لبوخ بوجملين: القوالب والمستنسخات، قراءة في مكونات الخطاب الروائي لأحلام مستغانمي، مجلة الأثر، ع ١٨، ٢٠١٣م.

٣٥- محمد العمري: بلاغة السخرية الأدبية، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

خامسًا: المراجع الأجنبية:

36- Herbert Grice: Logic and conversation, 1975.

الهوامش

(١) ابن منظور المصري: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، د.ت، مادة: (سخر).

(٢) إبراهيم: ٣٣.

(٣) البقرة: ١٤-١٥.

(٤) ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، مادة: هزء.

(٥) الأنعام: ١٠، انظر: الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، راجعه واعتنى به: محمد تامر، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٩م، مادة: (هزء).

(٦) نعمان محمد أمين طه: السخرية في الأدب العربي، دار التوفيقية للطباعة بالأزهر، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م، ص ١٤.

(٧) جبور عبد النور: المعجم الأدبي، الطبعة الثانية، دار الملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م.

(٨) شاكر عبد الحميد: الفكاهة والضحك، رؤية جديدة، عالم المعرفة، د.ط.، الكويت، ٢٠٠٣م.

(٩) إبراهيم عبد القادر المازني: حصاد الهشيم، مؤسسة هنداوي، لندن، إنجلترا، ٢٠١٧م، ص ١٧٢.

(١٠) محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٥م، ص ٩٢.

(١١) أحمد السباعي: أيامي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م، ص ٧٤.

(١٢) عبد العزيز ربيع: ذكريات طفل وديع، نادي المدينة المنورة الأدبي، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ، ص ١.

(١٣) هدى الدغفق: متطايرة حواسي شذرات سيرية، أزمنة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٧م، ص ٩١.

(١٤) عبد الله مناع، بعض الأيام بعض الليالي أطراف من قصة حياتي، دار المرسي للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص ٩٢ .

(١٥) انظر: روبرت همفري: تيار الوعي في الرواية الحديثة، ترجمة: محمود الربيعي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٥م.

(١٦) الهنوف صالح الدغيشم، فرايبورغ رقة العزلة، الدار القومية للعلوم، ناشرون، الرياض، ٢٠١٦م، ص ٢١.

(١٧) المصدر السابق: ص ٢٤.

(١٨) الهنوف صالح الدغيشم، فرايبورغ رقة العزلة، مصدر سابق، ص ٢٢.

(١٩) المصدر السابق: الصفحة نفسها.

(٢٠) عبد الله مناع: بعض الأيام بعض الليالي أطراف من قصة حياتي، ص ١٤٥.

(٢١) محمد العمري: بلاغة السخرية الأدبية، النادي الأدبي الثقافي، جدة، إصدار علامات، ج٢، مج ٥، صفر ١٤١٧هـ، يونيو ١٩٩٦م، ص ٣١.

(٢٢) أحمد السباعي: أيامي، مصدر سابق، ص ٦٥-٦٦.

(٢٣) عبد الله الحيدري: السيرة الذاتية في الأدب السعودي، الرياض، دار المعراج الدولية، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص ٣٢٨.

(٢٤) معجب الزهراني، السيرة الذاتية في الأدب السعودي، ضمن كتاب السيرة الذاتية في الأدب السعودي، دراسات نقدية، تحرير د. صالح الغامدي، ود. عبد الله الحيدري، الرياض، مطبوعات جامعة الملك سعود، كرسي الأدب السعودي، سلسلة مختارات الأدب السعودي٣، د.ط، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص٢١.

(٢٥) أحمد السباعي: أيامي، مصدر سابق، ص ٧١.

(٢٦) أحمد عبد الغفور عطار: بين السجن والمنفى، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨١م، ص ٦٥.

(٢٧) أحمد عبد الغفور عطار: بين السجن والمنفى، مصدر سابق، ص ٩٣.

(٢٨) رابح العوبي: فن السخرية في أدب الجاحظ (من خلال كتاب التربيع والتدوير، والبخلاء، والحيوان)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ٣٦٦.

(٢٩) أحمد عبد الغفور عطار: بين السجن والمنفى، مصدر سابق، ص ١٥٥.

(٣٠) حسن نصيف: ذكريات طالب، دون ناشر، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، ص ٦.

(٣١) حسن نصيف: ذكريات طالب، ص ١٧٥.

(٣٢) أبو عبد الرحمن الظاهري: تباريح التباريح (سيرة ذاتية، ومذكرات، وهجيري ذات)، دار الصحوة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص ١٢٤.

(٣٣) المصدر السابق: ص ١٢٤.

(٣٤) عزيز ضياء: حياتي مع الجوع والحب والحرب، دار التنوير، الطبعة الثانية، ٢٠١٢م، ص ٢٧٣.

(٣٥) هدى الدغفق: أشق البرقع أرى، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١١م، ص ١٣.

(٣٦) هدى الدغفق: أشق البرقع أرى، مصدر سابق، ص ٦٥.

(37) Herbert Grice: Logic and conversation, 1975, p, 113-128.

(٣٨) سارة مطر: قبيلة تدعى سارة، يوميات أنثى سعودية حرة، دار مدارك للنشر، الطبعة ١٦، ٢٠١٥م، ص ٣٣.

(٣٩) سارة مطر: قبيلة تدعى سارة، يوميات أنثى سعودية، مصدر سابق، ص ٣٥.

(٤٠) رابح العوبي: فن السخرية في أدب الجاحظ، مصدر سابق، ص ٧٢.

(٤١) أميمة الخميس: ماضي مفرد ومذكر، مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١١م، ص ٧٩.

(٤٢) محمد مفتاح: دينامية النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، ص ٩٤.

(٤٣) ناتالي بييقي غروس: مدخل إلى التناص، ترجمة: عبد الحميد بورايو، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٢م، ص ١١.

(٤٤) غازي القصيبي: استراحة الخميس، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص ٣٣-٣٤.

(٤٥) هدى الدغفق: أشق البرقع لأرى، مصدر سابق، ص ٨٢.

(٤٦) سليمة لوكام: شعرية النص عند جيرار جينيت، مجلة التواصل، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باجي مختار، الدار البيضاء، العدد ٢٣، يناير ٢٠٠٩م، ص ٣٥.

(٤٧) ديوان المتنبي: شرح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٦م، ٢٥١/٤.

(٤٨) جميل حمداوي: المستنسخات الروائية، ضمن كتاب: محاضرات في لسانيات النص، شبكة الألوكة، المؤلف، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م، ص ٩٩.

(٤٩) لبوخ بوجملين: القوالب والمستنسخات: قراءة في مكونات الخطاب الروائي لأحلام مستغانمي، مجلة الأثر، العدد ١٨، يونيو ٢٠١٣م، ص ٣٠.

(٥٠) غازي القصيبي: استراحة الخميس، مصدر سابق، ص ٥٤.

(٥١) جزاع فرحان الشمري: أجناسية السيرة الذاتية السعودية، النادي الأدبي بالرياض، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م، ص ٣٦٥.

(٥٢) أميمة الخميس: ماضي مفرد مذكر، مصدر سابق، ص ٨٠.

(٥٣) عبد الكريم الجهيمان: مذكرات وذكريات من حياتي، دار السبل، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص ١٦٠.

(٥٤) المصدر السابق، ص ٢٦٤.

(٥٥) انظر: عبد الكريم الجهيمان: أحاديث وأحداث (نشرة خاصة)، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص ٣٢٥.

(٥٦) عبد الله الحيدري: السيرة الذاتية في الأدب السعودي، ص ٤٠٠.

(٥٧) انظر: ناصر بن محمد الحميدي، من مذكرات كتاب، الطبعة الثانية، الرياض، مطابع دار الجسر، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص ١٤٨.

(٥٨) غازي القصيبي: استراحة الخميس، مصدر سابق، ص ٣٠.

(٥٩) غازي القصيبي: استراحة الخميس، مصدر سابق، ص ٨٦.

(٦٠) جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م، ص ١٠٠.

(٦١) محمد برادة: أسئلة الرواية، أسئلة النقد، منشورات الرابطة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ص ٨٠.

(٦٢) غازي القصيبي: استراحة الخميس، مصدر سابق، ص ١٤٥-١٤٦.

(٦٣) جزاع الشمري: أجناسية السيرة الذاتية السعودية، مصدر سابق، ص ٣٣١.

(٦٤) غازي القصيبي: استراحة الخميس، مصدر سابق، ص ٥٠.

(٦٥) محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، يناير ٢٠٠٥م، ص ٩٦.